**المحاضرة :الرابعة**

**السداسي:الثاني**

**المقياس : الحداثة في الأدب العربي**

**الفئة المستهدفة: طلبة السنة الثانية دراسات أدبية**

**عنوان الدرس :بيانات الحداثة العربية**

**: بيان الحداثة عند أدونيس**

**نبذة عن حياة أدونيس :**

 هو علي أحمد سعيد إسبر المعروف ب : أدونيس شاعر وناقد ومفكر سوري ولد عام 1930م في قرية قصابين السورية ، اختار لنفسه اسم أدونيس في شبابه ، وفي بداية كتاباته لأنه لم يكن مشهورا أو معروفا في تلك الفترة فاختاره وذلك تيمنا بأسطورة فينيقية ، تزوج في لبنان وعاش فيها مع الأديبة والكاتبة خالدة سعيد .

له الكثير من الإنتاج والإبداع الشعري ومنه : قصائد أولى ، وقت بين الرماد والورد ،أوراق في الريح ، أغاني مهيار الدمشقي ...، ومن أعماله وأبحاثه و دراساته : زمن الشعر ، الثابت والمتحول وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه ثم طبعت فيما بعد ، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب ، مقدمة للشعر العربي ...

**-أسس الحداثة عند أدونيس :**

لقد أثار الناقد، والشاعر، والمفكر الكثير من الجدل، وأسال الكثير من الحبر وكذلك أثار نقاشات واسعة وذلك ليس بسبب شعره فحسب ؛وإنما بسبب آرائه الجريئة والجديدة التي طرحها وبخاصة تلك المتعلقة منها بالتراث، والدين عموما والدين والإسلامي بصفة خاصة ،"" و لفد شكلت مواقفه من الحداثة بصفة شاملة ومعارضته للتقليد ليس في الأدب وحسب ولكن في جميع مجالات الفكر ، العامل الأول في إثارة هذا الجدل ، فالخصومة حول أدونيس قديمة قدم دعوته إلى الجديد والتجديد والإبداع ، ضمن مفهوم الحداثة في جميع نواحي الحياة العقلية والأدبية والعلمية "[[1]](#footnote-2)، وعلى هذا يبدو بأن أدونيس شغل الفكر والنقد العربيان وبخاصة أنه عاش فترة طويلة في أوروبا وتشرب من روح العصر فيها ومن الفكر الغربي وثقافة أوروبا ومعتقداتها .

**الحداثة عند أدونيس**:

لم يرتبط مصطلح الحداثة عند العرب في وقتنا الراهن مثلما ارتبط بأدونيس وهي عنده تأتي بمعنى الكشف الدائم والبحث المستمر عن كل ما هو جديد خاصة ما تعلق منه ب مسألة تجديد الشعر والفكر والمعارف فكثيرا ما شغلته ، وهو المتمرد الرافض لكل قديم بالٍ، وساخط على كل موروث فكري وثائر على كل ما هو سائد ووارد.

ولم تعد الحداثة تقتصر في قضاياها الأساسية على كتابة الشعر وزنا ونثرا ، وإنما باتت تتمثل في الأفق الكشفي المعرفي الذي تؤسس له هذه الكتابة ، داخل التاريخ العربي ،من جهة وخارجه في تاريخ الإنسان المعاصر ، من جهة ثانية ،لقد حمل أدونيس منذ بداياته الأولى لواء التجديد في الشعر العربي ، فعلى الرغم من عدم استخدامه الصريح لمصطلح الحداثة غير أن كل الأفكار التي كان يطرحها تدل على فكره الساعي إلى التجديد الرافض لكل تقليد وبشتى أنواعه ومراميه حتى أن أشعاره الأولى غلب عليها طابع التجديد و الحديث خاصة تلك الأشعار التي كان قد نشرها في مجلة "شعر" اللبنانية التي تربع على رئاسة تحريرها رفقة زميله ورفيق دربه يوسف الخال بعدما أسساها معا في عام 1957م،وقد بدأ أدونيس منذ بداياته الأولى ومن خلال مجلة " شعر " وكل أعضائها " جماعة شعر الاهتمام بقضايا العربية وكل انشغالاتها المتعلقة بالحداثة فكان "الأكثر اضطلاعا بهموم الحداثة ثم الأوضح تعبيرا عن همومها وعن مفاهيمها وخطوطها العريضة " ليس فيما كتبه من شعر وحسب ، بل فيما كتبه أيضا من دراسات ومقالات "[[2]](#footnote-3)

ويعد بيان الحداثة وهو موضوع درسنا الوارد في كتابه " فاتحة لنهايات القرن" أكثر استخداما لمصطلح الحداثة ، كتبه في عام 1979م وكان الأكثر إفصاحا ، والرؤيا الأكثر إشكالية حول مفهوم الحداثة ، لأنه يطرح النقاش والتساؤل في قضايا جوهرية وأساسية حول عملية تفعيل النظرية الشعرية وفق المنظور الأدونيسي."[[3]](#footnote-4)،ولم يقتصر اهتمامه بالبحث المستمر عن صورة حديثة ومغايرة للشعر العربي ، بل امتد إلى إعادة قراءة الشعر العربي القديم والنصوص النقدية والصوفية قراءة مختلفة في ضوء معطيات جديدة واكتشاف عناصر الحداثة فيها و :"يعتبر أدونيس بلا ريب ، مكتشف التنظيرات العربية للحداثة في ثقافتنا القديمة ، من خلال أقوال المبّرد وابن المعتز وابن جنّي وابن رشيق ، وهؤلاء جميعا ينتصرون للشعر المحدث أو الشعر المكتوب في زمنهم "[[4]](#footnote-5)، وقد يجد صعوبة كبيرة في تحديد مفهوم حقيقي للحداثة وهي ذلك المفهوم المعقد الذي يصعب التعبير عن دلالته وهو ما عبر عنه بصدق أدونيس حينما أكد على صعوبة تحديده لهذا المفهوم ":لا أزعم ، أن الجواب عن هذا السؤال أمر سهل ، فالحداثة في المجتمع العربي إشكالية معقدة ، لا من حيث علاقاته بالغرب وحسب ، بل من حيث تاريخه الخاص أيضا ، بل يبدو لي أن الحداثة هي إشكاليته الرئيسية "[[5]](#footnote-6) .

**أبعاد ومستويات الحداثة عند أدونيس:**

يحدد أدونيس أبعاد الحداثة ومستوياتها بثلاثة مستويات ، أو ثلاثة حداثات :

**-الحداثة العلمية .**

**-حداثة التغيرات الثورية** "الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية ".

**-الحداثة الفنية .**

**أ-الحداثة العلمية :**

الحداثة العلمية وتقترن عند أدونيس بالمعرفة وبعلاقة الإنسان بالطبيعة ": علميا ، تعني الحداثة إعادة النظر المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها ، وتعميق هذه المعرفة وتحسينها باطراد."[[6]](#footnote-7) **،** وترتكز الحداثة العلمية هنا، على حسب ما جاء به أدونيس على السعي المتواصل إلى تفسير الظواهر الطبيعية بهدف إخضاع الطبيعة لإرادة العقل أو الإنسان عموما ، فالطبيعة مليئة بالطاقة والقوة التي يمكن تسخيرها لخدمة الإنسان والبشرية عموما ، ولا تتم السيطرة على الطبيعة إلا من خلال القانون العلمي ، وأدونيس يعرّف الحداثة العلمية على أنها تلك التحولات المستمرة في المعرفة العلمية للطبيعة أو المحيط أو البيئة التي يعيش فيها الإنسان ولا يمكن لهذه المسيرة المعرفية أن تتوقف أو تصل إلى نهاية معروفة أو مدركة ،هي عموما لانهائية تبحث على الاستكشاف الدائم وفهم الحقائق واكتساب المعرفة والمعلومة والحقيقة ، وكل هذا يتأتى إما عن طريق التأمل بالعقل والفكر أو عن طريق التجربة أو عن طريق الاطلاع على تجارب الآخرين .

**-ب الحداثة الفنية :**

وتقوم الحداثة الفنية في هذا الصدد على تساؤلات جذرية وفكرية وهي ثلاث أعمدة :

1-**التساؤل الجذري.**

**2-إفتتاح آفاق تجريبية جديدة .**

**3-إبتكار طرق للتعبير .**

و الحداثة في مستواها الفني عند أدونيس تحمل ": تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها ، وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية ، وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل ، وشرط هذا كله الصدور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون "[[7]](#footnote-8) ،

 وإذ يقتصر أدونيس في هذا التعريف على المجال الأدبي على اعتبار أن الفن أعم وأشمل ، فالحداثة في الفن بحسب اعتقاده هي نظرة فريدة جديدة متجددة للكون وللإنسان معا كيف لا وهي إنتاج للجمال و موهبة و إبداع يقول أدونيس عن الإبداع الفني أوعن الفن عموما :"إنه نظر معرفي يُصغي إلى العالم فيما يخلق صورة جديدة له ، وهو إذن شمل الوجود كله ، وجمالية الوجود"[[8]](#footnote-9)، فلسفة وجودية تطرح الكثير من الآراء والأفكار المعرفية المتعددة الدلالات.

 وأما كون الحداثة تساؤل جذري : فالتساؤل حسبه مفتاح الفكر إذ كثيرا ما يلجأ إليه من أجل إثارة قضية من القضايا المصيرية في المجتمع العربي ، إنه منهج حياته فهو يقول :" و الشيء الآخر الذي أثر في هو طريقة التفكير القائلة إنه إذا كان هناك معلوم في العالم ومقابله هناك مجهول ، فإن المعرفة الحقيقية ليست معرفة المعلوم بل معرفة المجهول ، وقد سكنني هاجس المجهول منذ بداية الطفولة "[[9]](#footnote-10)، ولا تخوض النفس المجاهيل إلا إذا كانت مفعمة بهواجس التساؤلات ، وهذا التساؤل الجذري هو الذي يبحث في عمق الأشياء ويثير اللغة الشعرية ويستفزها ويفجر مكنوناتها ، هذه اللغة الشعرية التي تشكل انزياحا على مستوى اللغة العادية إنها خرق لقوانينها ومعاييرها فهي "ليست مجرد شاهد على الوجود ، وإنما هي كينونة متحركة وفعالة "[[10]](#footnote-11).

الحداثة هي أن نترك مجالا للتجربة و الممارسة المتجددة للكتابة الإبداعية ، فكل ممارسة جديدة للكتابة هي خلق جديد يترك مجالا لتحقيق حداثة حقيقية تعمل على الانفتاح الحقيقي للكتابة الفنية الإبداعية المبتكرة المائزة والمتميزة بعيدا على المحاكاة والتقليد ومن ثم الجمود والركود ولتحقيق ذلك ينبغي توافر الموهبة واللغة وحسن التعبير وجمال الأسلوب والثقافة اللازمة والمطلوبة كعنصر أساس لكل تجربة توفر لها الإدراك الممتد في تاريخ المعرفة الإنسانية ، وفي تجارب الآخرين ، وتفتح أمامها آفاقا من الرؤى الخصبة التي": ترى مالا يرى ، ترى الوحدة في التعدد ، الكل في الأجزاء ، الروح في المادة ، التواصل في الانقطاع والحياة في الموت "[[11]](#footnote-12).

إذا وجب استحداث طرائق حديثة و أساليب مبتكرة في الكتابة الفنية خاصة على أن تكون في مستوى التساؤلات الجذرية المطروحة .

والحداثة في هذا الصدد تمكن الإنسان المبدع من تحقيق ما يلي :

\*يؤسس لتساؤل جذري يفجر لغته الشعرية .

\*يفتح آفاقا تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية .

\*يبتكر طرقا للتعبير ترقى إلى مستوى التساؤل.

ج-**حداثة التغيرات الثورية** ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، السياسية :

يقول عنها أدونيس :"ثوريا تعني الحداثة نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة ، ومؤسسات وأنظمة جديدة تؤدي إلى زوال البُنى التقليدية القديمة في المجتمع وقيام بُنى جديدة "[[12]](#footnote-13)، يرتكز أدونيس هنا على مفهوم الثورة بما تحمله من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية لذلك يرتبط المفهوم الثوري للحداثة بهذه المجالات ، وجميع هذه المعتركات تؤدي إلى تحول جذري وتغيير شامل كامل على جل المستويات وتأتي كثمرة لفكر حداثي ثوري استطاع أن يغير المجتمع أو الأمة من حال إلى حال مثلما حدث في العصر الحديث مع الثورة الفرنسية من الناحية السياسية ، أو الثورة الصناعية في انجلترا وهي لا تنتج من عدم ولا تأتي من فراغ وإنما هي نتيجة لإعمال الفكر والعقل ، وبالتالي نرى بأن أدونيس يدعو دائما إلى إعمال الفكر والعقل بالدرجة الأولى كأساس للتغيير والثورة على ما هو موجود والتشكيك وعدم تقبل كل ما هو موجود وكائن مثله مثل فلاسفة الوجودية ، و بعدما تتطور تلك الأفكار تتحول إلى أحكام وآراء تتبناها جهات عدة تيارات أو مذاهب أو حركات فكرية تمثل بالنسبة لها هاجسا وهما مشتركا وجب تطبيقه وتجسيده على أرض الواقع ، فتحمل على عاتقها الرغبة الشديدة والحاجة الملحة في التغيير وتتصرف على ذلك النحو فتعمل جاهدة وبشتى السبل لتحقيق ذلك وتجسيده في الواقع وفي الراهن .

والثورة هنا لا تعني بالضرورة العنف و التطرف ، وإنما المهم فيها هو تحقيق التغيير والتحول من الوضع الراهن أو الواقع القائم إلى وضع آخر أفضل وأحسن وأجمل ، وهو –أي أدونيس -في تشخصيه للوضع السياسي العربي يعتقد أن الحداثة بدأت سياسيا ،حيث يتمثل الماضي ويفسره بمقتضى الحاضر :" إن الحداثة في المجتمع العربي بدأت موقفا يتمثل الماضي ويفسره بمقتضى الحاضر ، ويعني ذلك أن الحداثة بدأت ، سياسيا بتأسيس الدولة الأموية ، وبدأت فكريا ، بحركة التأويل ".[[13]](#footnote-14) .

وعموما كانت هذه أهم مستويات الحداثة عند أدونيس والتي تشترك في ميزة أساسية ، وهي أنها تمثل رؤيا جديدة تحمل في جوهرها تساؤلا واحتجاجا :"تساؤل حول الممكن ، واحتجاج على السائد ، فلحظة الحداثة هي لحظة التوتر أي التناقض والتصادم بين البُنى السائدة في المجتمع ، وما تتطلبه حركته العميقة التغيرية من البُنى التي تستجيب لها و تتلائم معها"[[14]](#footnote-15) ، ويشير أدونيس إلى أنه لا توجد حداثة علمية ، أو حداثة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع العربي ولكن هناك حداثة شعرية عربية فحسب إذا لا توجد حداثة العلم عند العرب في مقابل وجود حداثة الشعر والأدب ، في حين في الغرب نلاحظ العكس تماما ففي غياب حداثة الأدب أو تأخرها هناك تتواجد حداثة العلم بارزة عند المجتمع الغربي ، وهذا راجع إلى أن الحداثة الشعرية لا تحتاج إلى مجهود ولا تتطلب حركة واسعة في المجتمع ، وهي لا تحتاج إلى عمل مؤسساتي أو اقتصادي مادي ، وإنما تعتمد في أغلب الأحيان على الفردية والمجهودات الذاتية للأشخاص.

ولأن الحداثة كانت الهاجس الذي كثيرا ما شغل أدونيس فقد تعددت تعريفاته لها وكثرت المصطلحات المشيرة إليها حد التناقض في بعض الأحيان وعلى هذا الأساس يقول حسن مصطفى :" إن الحداثة لدى أدونيس تعتبر مفهوما متبدلا متحركا ، أي أنها ليست ذات طبيعة واحدة ساكنة ، بل تمتاز بأنها تواكب التطور التاريخي والموضوعي ، في آن معا ، وهذا ما يجعل بعض الأحيان الرؤية ضبابية تجاهها ، وقد تكون متناقضة أحيانا ، ولقد عرّف أدونيس الحداثة بعبارات شتى وعديدة ، طوال مداه الفكري والزمني ".[[15]](#footnote-16)

**-أوهام الحداثة :**

للحداثة الأدونيسية خمسة أوهام منها :[[16]](#footnote-17)

1-**وهم الزمنية :**

وهي التي تكون مرتبطة أشد الارتباط بالراهن أو بالزمن ، بحيث يرى أدونيس أن بعض الشعراء يربطون الحداثة بالزمن الراهن ويعتبرونه الإطار الحاضن لحركات التغيير والانفصال ن الزمن الماض :"والواقع أنّ هذه النظرة شكلية تجريدية، تُلحق النص الشعري بالزمن، فتؤكد على اللحظة الزمنية لا على النص بذاته ، وعلى حضور شخص الشاعر ، لا على حضور قوله ، وهي من هنا تؤكد على السطح لا على العمق ، وتتضمن القول بأفضلية النص الراهن ، إطلاقا ، على النص القديم ."

يقتصر التعريف هنا على الزمن فحسب في حين كان من المفترض التأكيد والحرص على الإبداع الفني أو الأدبي لا على اللحظة التي أبدع فيها العمل ، فمن المؤكد أن الكثير من الأعمال الشعرية كُتب لها الخلود لا لأنها أُلفت في هذا الزمن أو ذاك ؛ وإنما لأنها تتضمن معان حداثية وأفكار جديدة خلاقة صالحة لكل زمان ،فأين نحن من عهود شعراء خلدت أشعارهم أسمائهم وكتبنها بماء من ذهب وعاشت إلى زمن لم يعد فيها أصحابها موجودون ، فقد تجد في شعر أبي تمام رؤى وفلسفة لا تجدها في شعر المحدثين الذين رفعوا شعار الحداثة الأولى في الشعر العربي الحديث كنازك الملائكة أو بدر شاكر السياب أ وغيرهم كثير ...

ولعل هذا المعيار أي الزمنية هو نفسه الذي حمله أصحاب الصراع والنزاع بين القديم والحديث على اعتبار أن الشعر القديم منه هو الأفضل والأحسن والأجود ، في حين أن الشعر المحدث رُفض ونبذ لا لرداءته وإنما لكونه ينتمي لزمن غير الزمن الأول ، أو ينتمي لعصر غير زمن القدامى ،فليس كل شعر كتب في زماننا راهن حداثي أو مستحدث ، ولا هو أكثر حداثة من الشعر القديم ؛ هي إذا فرضية خاطئة فاضلت بين القديم والحديث ، وهذا ما رفضه أدونيس جملة وتفصيلا :"رفضا قاطعا ربط الفعل الحداثي بالزمن ، لاعتقاده أن الزمنية كمقياس فزيائي لا يمكن أن نقيس به الآثار الأدبية ، فليس كل حديث هو بالضرورة متجاوز للقديم ومتقدم عليه ".[[17]](#footnote-18) .

**2-وهم المغايرة :**

قد يتقاطع هذا المفهوم مع سابقه على اعتبار أن السابق متعلق بالزمنية ، وهذا المفهوم يقصد إلى توهم الاختلاف في الكتابة أو التغيير والكتابة بطريقة مخالفة للكتابة في الزمن الماض ،أو هي توهم البعض بأن كتابة الشعر بطريقة مختلفة عن الطريقة القديمة في الشكل أو حتى على مستوى الموضوع تلك هي الحداثة بهذا المفهوم :"وينتج عن هذا الوهم القول بآراء حول بنية القصيدة ،وحول الوزن ووحدته الإيقاعية ، وحول مضموناتها ، تُغاير آراء النُقادِ القدامى ، ويكفي الشاعر في منظور هذا الوهم أن يصنع قصيدة تُغاير بموضوعها وشكلها ، القصيدة الجاهلية أو العباسية لكي يكون حديثا ."[[18]](#footnote-19) ـ إن هذه النظرة تعاكس النظرة السابقة من حيث أنها تُركز على إنتاج النقيض في الشعر حتى يكون مختلفا عن القديم وبالتالي يصِحُ له أن يلج باب الحداثة أو يُعد حداثيا ؛ فهذا الرأي إذا يجعل من علاقة التضاد بين الرأيين مقياس للحداثة ، فهل يمكن أن نضع نصا شعريا قديما أمامنا ونكتب على نقيضه تماما فنقارنه بالقديم و فنعده شعرا حداثيا؟

لعل هذا الأمر أو دعنا نقول أنه وفي كثير من الأحيان نجد بأن هذه الطريقة هي التي تجعل من النص الثاني أقل حداثة .

 **3-وهم المماثلة :**

هذا التعريف هو تحوير للتعريف السابق تماما ، فبما أن الحداثة بذلك المفهوم معناها أنغاير ونُخالف القدامى في كتابة الشعر فنحقق الحداثة ، أما هذا المفهوم وهو المماثلة يدع إلى أن الكثير من الآراء تعتقد أنه بما أن الحداثة جذورها غربية ، وقد استقاها العرب من الغرب فإن التماثل والتطابق في الكتابة مع الغرب هو الحداثة ذاتها ، هؤلاء الشعراء الذين يعتقدون يقينا بأن الحداثة مصدرها الأول هو الغرب ، وعليه يجب مماثلة الغرب في الكتابة الشعرية هو الحداثة نفسها ، هذا موقف انهزامي اتباعي يرى بأن الغرب هو مصدر كل حديث وأساس كل إبداع فني أدبي وشعري ، هذا الانبهار بحضارة الغرب يجعل من صاحبه انهزاميا اتباعيا يرى بأن الغرب هم مركز كل إبداع وتجديد وأن السبيل الأوحد والأمثل للتخلص من التخلف هو الاتباع والمماثلة للالتحاق بالركب –وأعتقد أن هذا ما يقوم به الكثير من شبابنا –لاعتقاده بأن التشبه بالغرب هو السبيل الأمثل للتحضر ، غير أن مثل هذه الروح تحمل فكرا انهزاميا اتباعيا :" إن الاعتقاد بأن محاكاة الغرب هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى الحداثة مُضلّل ، لأن وجهة النظر هذه تنطوي على الإقرار المسبق بتفوق الغرب وتقود إلى انحلال الذات في الآخر ، وهذا مظهر آخر من مظاهر التقليدية ".[[19]](#footnote-20)، هو مفهوم يدعي إلى المحاكاة والتقليد للآخر غير أن من مبادئ الحداثة وأسسها العامة والتي لا يمكن الخروج عنها ، الابتعاد عن التقليد والمحاكاة والتجديد في كل شيء ، إن تقليد الغرب لا يؤدي حتما إلى الحداثة وإنما قد ينفي عن صاحبه الخصوصية والتميز والإبداع ، وقد يدفع حتى إلى هدم كل مبادئ العروبة وجوهرها الأساس وهو الإسلام ومن ثم إلغاء التنوع والتمايز الذي يثري الفن والحياة .

**4- وهم التشكيل النثري :**

إن المُلاحظ لهذا المفهوم يعتقد جازما بأنه يرتبط فنيا وأدبيا بالمفهومين السابقين أي مفهوم المماثلة ومفهوم المغايرة، فوهم التشكيل النثري هو استغراق في كل منهما؛ بحيث أنه يستغرق في المغايرة مع الشعر العربي القديم ، وفي المقابل يتماهى في المماثلة مع الغرب خاصة في الكتابة الشعرية ولا أدل على ذلك من الدعوة للكتابة في جنس " قصيدة النثر " هذا الأخير الذي تقبله الكثيرون وتبنوه ونظموا على منواله وهذا مدعاة للمماثلة مع الغرب وتقليدهم ، في حين هناك من رفضه واعتبره جنسا هجينا لقيطا لا يمتُ للشعر بصلة وبالتالي استغرقوا في المغايرة على اعتبار أن الكثير من الشعر المكتوب نثرا غارق في التقليدية ولا علاقة له بالحداثة ، لهذا طالب أدونيس في هذا الشأن من الشعراء ممن يكتبون في جنس قصيدة النثر وأكد على ضرورة الانطلاق من فهم التراث العربي المكتوب واستيعابه جيدا وبشكل معمق وشامل ، وأن يكتبوا أشعارهم أو قصائدهم أيا كان نوعها أو جنسها انطلاقا من تأصيل التراث وليس تجاوزه ، وهذه دعوة صريحة إلى كتابة قصيدة النثر على اعتبارها نص من شجرة الشعر التي تفرعت إلى أجناس جديدة والتي هي في الأساس رفيقة وأخت قريبة لقصيدة الوزن عكس ما ذهب إليه البعض في قولهم على :"أن الكتابة بالنثر ، من حيث هي تماثل كامل مع الكتابة الشعرية الغربية ، وتغاير كامل مع الكتابة الشعرية العربية ، إنما هي ذروة الحداثة ، ويذهبون في رأيهم إلى القول بنفي الوزن ، ناظرين إليه كرمز لقديم يناقض الحديث ."[[20]](#footnote-21) .

**5-وهم الاستحداث المضموني :**

وهذ وهم آخر ورأي آخر، وقضية أخرى، ولعلها هي أيضا مثلها مثل مفهوم الزمنية قد ركزت على المضمون ، بمعنى أن النصوص التي تحمل مضمونا جديدا مواكبا هي التي تنتمي إلى الحداثة حتى في وسائلها في حين النصوص التي تحمل مضامين تقليدية قديمة فهي لا تمت بصلة إلى الحداثة وهذا وهم جديد توهمه كل من أخذ بهذا الرأي وآمن بهذا الموقف .

فكل موضوع يصف ما استجد وجد في العصر من إنجازات أو أعمال وأفعال مرتبطة بالواقع الراهن يعد موضوعا حداثيا بالضرورة ،لأن الشعر الحداثي يواكب العصر ويعبر عن الواقع وعن الراهن والحاضر ، ولكن قد نجد بعض الأشعار التي كتبت حديثا إلا أنها تستعمل مصطلحات وألفاظ أو عبارات قديمة من المعجم القديم والتي لم تعد مستعملة أو مستخدمة بكثرة في قاموس الحياة المعاصرة ، أو في القاموس الفني والأدبي الشعري ومع ذلك تُعد من الحداثة ،وفي هذا يرى أدونيس بأنه :" يزعم بعضهم ، انسياقا وراء وهم استحداث المضمون ، أن كل نص شعري يتناول إنجازان العصر وقضاياه هو بالضرورة ، نص حديث ، وهذا زعم متهافت ، فقد يتناول الشاعر هذه الانجازات وهذه القضايا برؤيا تقليدية ، ومقاربة فنية تقليدية ، ، كما فعل الزهاوي، والرصافي ، وشوقي ، تمثيلا لا حصرا ، وكما يفعل اليوم بعض الشعراء ، باسم بعض النظرات المذهبية الإيديولوجية ، فكما أن حداثة النص الشعري ليست في مجرد زمنيته ، أو مجرد تشكيليته ، فإنها كذلك ليست في مجرد مضمونيته ."[[21]](#footnote-22).

ومن هنا يمكن لنا أن نصيغ بإيجاز أوهام الحداثة الخمسة فيشكل نقاط فنقول :

1-ليس كل شعر يُكتبُ في الزمن الراهن يُعدُ من شعر الحداثة .

2-ليس كل شعر يختلف شكلا ومضمونا عن الشعر القديم من شعر الحداثة .

3-ليس كل شعر يماثل أو يشابه أو يحاكي شعر الحداثة الغربي هو من شعر الحداثة .

4-ليس كل شعر يستخدم النثر أداة فنية هو من شعر الحداثة .

5-ليس كل شعر يتناول قضايا العصر ومشكلاته ،وكل ماجَّدَ وأنجز فيه واسْتُحْدِث هو من شعر الحداثة .

 -**خصائص الحداثة عند أدونيس :**

أ-الثورة والتمرد على النظام السائد و التقاليد والمعتقدات بجميع أشكالها.

ب-الاتصال بالتراث والانفصال عنه في آن واحد.

ج-الاقتران بالاختلاف والمُغايرة والخروج عن النمطية .

د-إرساء مبدأ الاحتجاج والتساؤل والشك.

ه-فتح آفاق جديدة للتجارب الابداعية .

**-مقتضيات الحداثة عند أدونيس :**

**أ**-الكشف و المغامرة، والقبول بالمجهول.

ب-تجاوز المفاهيم الموروثة واستحداث أخرى جديدة .

ج-الغوص المعمق والمعرفة الحقيقية والفهم الصحيح لحقيقة للحاضر و الماضي .

د-نفي وإبطال أوهام الحداثة في الشعر بصفة خاصة .

**-مقومات الحداثة عند أدونيس:**

أ- الحداثة عنده موقف وعقلية .

ب-الحداثة رؤيا متفردة للكون و للإنسان .

ج-الحداثة إبداع .

د-الحداثة هي ابتكار لطرق جديدة في التعبير .

**-تقنيات الكتابة الشعرية عند أدونيس :**

-يرى أدونيس أنه من أجل كتابة شعرية حداثية وجب إفراغ هذه اللغة من محتواها وإعادة شحنها بدلالات جديدة ومعان مستحدثة، وإبعادها عن مدلولها الأصلي الذي كتبت لأجله أول الأمر.

-التغيير الجذي للنسق الموضوعة فيه كقصيدة .

-تبديل علاقتها بجاراتها .

من خلال هذه الأفعال الثلاثة السابقة الذكر برى أدونيس بأنه بإمكانه خلق لغة جديدة مغايرة.

-يرى فيما يخص الصوفية بأنها مذهب ديني له فلسفته الخاصة .

-واللغة عند الصوفية لها دلالتها المخالفة المغايرة المفارقة للغة العادية المألوفة المتداولة .

-يرى بأن الشعر الصوفي شعر ماورائي ميتافيزيقي تأويلي .

-ويرى بأن الرؤية الشعرية الصوفية ماورائية كشفية ،ذات بعد إنساني كوني .

-كما يرى أدونيس بأن المعجم الصوفي ، والتجربة الشعرية الصوفية هي عبارة عن شعر ذي أبعاد إنسانية وكونية ،وذي إيحاءات وقراءات عديدة توليدية ولا متناهية.

-**آليات فهم النص الحداثي وفق رؤيا أدونيس:**

 من أجل فهم النص الحداثي توجب أولا التعاطف مع النص الشعري ،كتجربة شاملة معقدة جديدة ،وهو ككل التجارب السابقة يحتاج إلى الإيجابية والتعاطف والتفهم من خلال تخليص عقلياتنا ووعينا وتعويد ذواتنا على :

-السلفية : فالعقلية السائدة في المجتمع العربي عقلية سلفية ينبع مثلها الأعلى من الماضي لا من المستقبل .

-النموذجية: بمعنى الكمال الشعري من وجهة نظر العقلية السائدة ككائن سابق في التراث الشعري العربي ،وعلى الشعراء في المستقبل أن ينسجوا على منواله .

-الشكلية : فالتعليق بالنموذج أدى إلى التعليق بالشكل ، فليس الشعر من وجهة نظر العقلية السائدة رؤيا ؛بل هو صناعة ألفاظ.

-الغنائية الفردية :حيث درجت العقلية السائدة في المجتمع العربي على تذوق واستكناه الشعر العربي وفهمه الذي يعتبر غنائي فردي في مجمله ،إذ يعكس انفعال الشاعر كفرد .

لقد تبنى أدونيس الحداثة وأفرد لها كل إنتاجه النقدي والأدبي وشغلت فكره وحياته ،حتى غدت ميراثه الذي رفض أن تتحدد معالمه وعقلنته ، وهوما انعكس على فكره الذي كانت مجمل مفاهيمه والتي تناولها طيلة حياته زئبقية متحركة تأبى الثبات والاستقرار ، فهي دائمة التحول ، حتى وإن يرى البعض بأنها دلالة على التجديد والحيوية الدائمة ، لكن الواقع أن الفكر الذي لا ينجم عن مفاهيم محددة ، ولا يرتكز على مبادئ ومقاييس علمية واضحة ، هو فكر لا نستطيع الاستناد عليه كمرجعية يمكن الاعتماد عليها في بناء حضارة .

1. -أدونيس : مقدمة للشعر العربي، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، دط، 2009، ص135 [↑](#footnote-ref-2)
2. -جودت فخر الدين :أدونيس : هاجس البحث والتأويل التعبير عن الحداثة شعرا ونثرا ، مجلة فصول ،مج16، ع2، 1997م،ص182 [↑](#footnote-ref-3)
3. -حبيب بوهرور :تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ، ونزار قباني ، ص194،195 [↑](#footnote-ref-4)
4. -محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته 4، مساءلة الحداثة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط2، 2001م ، ص161 [↑](#footnote-ref-5)
5. -أدونيس: فاتحة لنهايات القرن ،بيانات من أجل ثقافة عربيةجديدة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1980م، ص320 [↑](#footnote-ref-6)
6. -أدونيس المصدر السابق ،ص321 [↑](#footnote-ref-7)
7. -أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص321. [↑](#footnote-ref-8)
8. -أدونيس :موسيقى الحوت الأزرق ،" الهوية ، الكتابة ، العنف "، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2002، ص304 [↑](#footnote-ref-9)
9. -صقر أبو فخر : حوار مع أدونيس،، الطفولة ، الشعر ، المنفى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000، ص50 [↑](#footnote-ref-10)
10. -أدونيس : موسيقى الحوت الأزرق ، مصدر سابق ، ص25 [↑](#footnote-ref-11)
11. -إبراهيم رماني : الغموض في الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، دط ، 2007، ص 154،155 [↑](#footnote-ref-12)
12. -أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص321 [↑](#footnote-ref-13)
13. - أدونيس : الثابت والمتحول ، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب،ج4، صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ، ص5 [↑](#footnote-ref-14)
14. -أدونيس :فاتحة لنهايات القرن ، ص321 [↑](#footnote-ref-15)
15. -حسن المصطفى وآخرون : عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003، ص185. [↑](#footnote-ref-16)
16. -أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص313. [↑](#footnote-ref-17)
17. -حبيب بوهرور : تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ،ص195 [↑](#footnote-ref-18)
18. -أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، مصدر سابق، ص314 [↑](#footnote-ref-19)
19. -حبيب بوهرور :تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني ، ص197. [↑](#footnote-ref-20)
20. أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص315، 316 [↑](#footnote-ref-21)
21. -أدونيس : فاتحة لنهايات القرن ، ص316 [↑](#footnote-ref-22)